

من إصدارات  
المجمع الإسلامي العلمي

# مسئولية الأمة الإسلامية أمام الأمم والعلم

بقلم :

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي

رئيس ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)

اهتم بالطبع والتوزيع :

**المجمع الإسلامي العلمي**

ندوة العلماء ، ص. ب ١١٩ - لكناؤ (الهند)

من مطبوعات المجمع الاسلامي

رقم

٢٨٦

الطبعة الاولى

١٩٩٨ هـ. ١٤١٩

عدد الطبع ١٠٠٠

ص، ب، ١١٩. ندوة العلماء، لكهنؤ



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## بين يدي الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ! فإن هذه الرسالة محاضرة قيمة ارتجلها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي في مدينة عمان بالملكة الأردنية الهاشمية ، في ٢٤ من شهر أغسطس ١٩٩٨م الموافق ٢ من جمادى الأولى ١٤١٩هـ بمناسبة زيارته لها للحضور في دورة مجلس الأمناء العاشرة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

بالمناسبة انتهزت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية هذه البلية المباركة ، وجود سماحته فوجهت إليه الدعوة لإلقاء محاضرة علمية دينية ، فقبلها سماحة العلامة الشيخ الندوي ، وهنالك قام معالي وزير الأوقاف والشئون الإسلامية الدكتور عبد السلام العباني بتنظيم أمسية في قاعة الشهيد الملك عبد الله بن



الحسين في التاريخ المذكور أعلاه، وألقى كلمة قيمة  
تقديماً للمحاضرة، ثم علق عليها تعليقاً جيداً، وشكر  
سمحته بقبول دعوته لإلقاء هذه المحاضرة القيمة .

وقد ضمت الأمسية عدداً كبيراً من أعيان البلد  
والعلماء والوزراء والمثقفين، والجماهير المسلمة، فقد  
غصت القاعة على سعتها بالمستمعين الكرام من  
الرجال والنساء .

نقلها من الشريط الأستاذ أفتاب عالم الندوي،  
أستاذ بكلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء .  
نتحفها إلى القراء الكرام في صورة هذه الرسالة  
بعنوان : "مسئولية الأمة الإسلامية أمام الأمم والعالم"،  
نرجو الله سبحانه أن يجعلها ذات نفع وتأثير، ويتقبلها  
قبولاً حسناً .

الناشر

١٤١٩٦/٤م

١٩٩٧/٩/٢٦م



## مسئولية الأمة الإسلامية أمام الأمم والعلم

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيد المرسلين ، خاتم النبيين ، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

إخواني وأخواتي ، سادتي وسيداتتي !

إنني كلما مرت بي هذه الآية القرآنية ، وقرأتها :  
”أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم ﴿ والذين كفروا  
بعضهم أولياء بعض \* إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض  
وفساد كبير ﴾ (١) وقفت حائراً مشدوهاً أمام هذه الآية  
القرآنية ، بصفتي - والحمد لله تبارك وتعالى - أوّمن  
بالقرآن بفصه ونصّه ، عقائده ، وأحكاماً ، وأخباراً ،

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٧٣ .

وكدارس للتاريخ ، وباحث في التاريخ كذلك ، خصوصاً تاريخ القرن السادس المسيحي الذي كانت فيه البعثة الحمديّة ، وبصليتي بالسيرة النبوية دراسة واسعة متنوعة في اللغات .

إنني أحرار عند قراءة هذه الآية | إنّ الجاهلية قد كانت مخيمة على العالم كله ، ضاربة أطنابها على السهول والجبال ، وعلى القفار والبراري ، على البلاد المتمدنة ، وعلى البلاد المتأخرة ، كما اتفق عليه المؤرخون ، قد كانت الجاهلية هي الديانة الوحيدة التي تؤمن بها وتعمل بها شعوب العالم كلها | فكان الجزء المتمدن المعمور الراقبي ينقسم في جزئين ، الجزء الشمالي الغربي ، و الجزء الشرقي ، كانا خاضعين لإمبراطوريتين جاهليتين ، إن لم أقل وثنيتين ، لكن بتحرّي الصدق والدقة ، أقول : إمبراطوريتين جاهليتين ، الجزء الكبير والمتمدن المعمور كان خاضعاً للإمبراطورية الرومية التي كانت تسمى بالإمبراطورية المسيحية ، والجزء الثاني : وهو الجزء الشرقي ، كان خاضعاً للإمبراطورية الفارسية الإيرانية المجوسية الساسانية ، وكان باقي أجزاء العالم المعمورة المتمدنة الراقية وغير الراقية كلها كانت خاضعة





لوثنية فاحشة ، لوثنية سافرة ، وثنية عارية ، حتى الهند التي كانت تملك فلسفات عميقة ، وكانت تملك مدارس فكرية كبيرة في بعض الأزمان ، كانت خاضعة للوثنية الفاحشة ، يقول أستاذ كبير ، صاحب اختصاص في التاريخ بروفيسور في جامعة دهي ، يقول : " قد وصل عدد المعبودات والمعبودين في الهند إلى مائة مليون في بعض الأحيان " ، والبوذية أخفقت في إصلاح الحال وفي توجيه البلاد - كما يدعى مؤرخوها وكما يدعى دعائها - إلى التوحيد ، قد أخفقت تماماً ، كما اعترف به المؤرخون في الهند ، كذلك كانت الدولة الجوسية الإيرانية ، وكانت فارس كذلك ، وكانت كل أصقاع العالم ، وكل قطع العالم ، وكل النواحي ، كلها خاضعة للوثنية ، وخاضعة للأوهام والخرافات ، وخاضعة للاضطهاد ، وخاضعة للخرافات ، ولكن كانوا هم الذين يملأون العالم ، وكان عددهم لا يحصى ، لا يمكن إحصاؤه ، ولا أعرف مؤرخاً أحصى عدد الموجودين في ذلك الزمان قبل البعثة المحمدية ، أو عند البعثة المحمدية في العالم ، ما كان هناك إحصاء عالمي ، إحصاء دقيق عالمي ، ففي جانب ، أوسع عالم ، وأكثر ، وأملك للطاقات البشرية ، وأملك للقوى الحربية ،

وأملك للمكتبات العلمية ، وأملك لكل القيم ، ولكل الخصائص التي تتصف بها الأمم ، كانوا في جانب ، قد اتخذوا جبهة ، جبهة وثنية ، جبهة للدعوة الوثنية ، والإغراء للوثنية ، والخضوع للخرافات ، والخضوع للأساطير ، والخضوع للاستبداد ، وقهر الملوك ، هكذا كان وضع العالم في ذلك الحين .

وكان مقابل ذلك المسلمون ، المسلمون وهم حفنة بشرية ، وهذا تعبير غير مُبالغ فيه ، حفنة بشرية ، تملأ الكف ، يعني إذا قيسوا في العدد والعُدَد ، وفي القوة ، وفي الطاقات والآلات ، إذا قيسوا بهذا العالم المتمدن المعمور ، المالك لأزمة الأمور ، والموجه للعالم كله توجيهاً كما يشاء ، إذا قوبل بينهم وبين هذه الحفنة البشرية كانوا في الحقيقة ملء الكف ، فقد صحَّ في الأحاديث الصحيحة ، وقد جله في صحيح البخاري : إنه كان هنالك ثلاثة إحصاءات ، أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بإحصاء المسلمين في المدينة المنورة ، ما عدد المسلمين المهاجرين ، والذين آمنوا بالإسلام في المدينة المنورة ، فكان الإحصاء الأخير لا يتجاوز ألفاً وخمسة مائة ، هذا الذي جله في صحيح البخاري ، وكان ذلك عند غزوة أحد ، وبعضهم يقول عند حفر الخندق ،

كانوا لا يتجاوز عددهم ألفاً وخمس مائة ، هؤلاء ألف وخمس مائة ، يخاطبون في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ الذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ هم جبهة : ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير ﴾ أي إن لم تكونوا جبهة ، إن لم تكونوا معسكراً ، إن لم تكونوا اتجاهًا ، اتجاهًا سافراً معلناً به ، اتجاهًا واضحاً للدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، وللدعوة إلى التوحيد الخالص ، وللدعوة إلى احترام الإنسانية ، و للدعوة إلى الإخاء الإنساني ، و الأخوة البشرية ، والدعوة إلى الإنصاف ، والدعوة إلى المساواة ، والدعوة إلى خشية الله تبارك وتعالى ، والعطف على الإنسانية ، إلا تفعلوه ، تكن فتنه في الأرض وفساد كبير ، كيف يفهم الإنسان بسهولة إذا لم يكن عنده إيمان عميق بالقرآن ، ودراسة دقيقة عميقة وتحراً للصواب ، ولواقع العالم البشري .

فقد كان هناك ملايين وملايين وملايين وملايين من البشر ، من الناس ، بعضهم مثقف ، عدد كبير منهم مثقف ، وعدد كذلك غير مثقف ، كلهم يخضعون للوثنية خضوعاً فاحشاً سافراً دائماً ، وعندهم خرافات وأساطير ومفروضات وعادات وتقاليد جاهلية فاحشة ظالمة جائرة

للإنسانية ، والشرف الإنساني ، وهناك حفنة من البشر لا يتخطى عددهم ، ولا يتجاوز عددهم ألفاً وخمسة مائة ، فكيف غير الله تبارك وتعالى ! أقول لكم بصراحة : كيف غير الله تبارك وتعالى كان يستطيع أن يقول هذا ! هناك ملايين من البشر ، وملايين وملايين من البشر ، يملكون كل طاقة ، ويملكون كل وسيلة ، ويملكون كل عدة ، ويملكون كل سلاح ، ويملكون كل تصرف في البشرية ، وهناك حفنة بشرية ، قد تجوع ، يجوع مئات منها ، ولا يستطيع كثير منهم أن يستر جسمه ستراً كافياً وافياً أو يقوت عياله ، هناك حفنة بشرية قليلة العدد ، قليلة العتاد ، وقليلة الأسلحة ، وقليلة القوى والطاقات ، وهناك بحر خضم ، بحر لا يعرف قعره ولا عمقه ، بحر مستفيض فائض على الصعيد كله ، على الأرض كلها ، قارات وأبالات ومدن وقرى ، وكذلك محلات صغيرة وكبيرة وعمارات وحكومات وفقير مدقع ، وعري وفاقة . |

وهكذا كان العالم موزعاً في ذلك الحين بين هذه الأكثرية الساحقة الغالبة الماحقة المعاندة المتشبهة الملحة المصرة على الوثنية ، وهناك كانت حفنة بشرية لا تستطيع أن تعول نفسها (وتعلمون جميعاً أن كل مهمة كبيرة تحتاج

إلى أن يكون الذي يضطلع بها، والذي يقبل مسئوليتها هو أن يكون صاحب كفاف، ويكون صاحب كفاية وقوة فهنا كان من جهة العدد، ومن جهة العدد، ومن جهة الآلات، ومن جهة الطاقات، هذه حفنة بشرية قليلة، وهذا العالم الممتد، عالم كالمحرمات هائج، فكيف غير الله تبارك وتعالى يستطيع أن يقول: ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض \* وفساد كبير﴾ ١٠

هذا لأن العبرة بالقيمة لا بالقامة، إن المسلمين كانوا صغاراً في القامة، ولكنهم كانوا كباراً في القيمة، والعبرة بالقيمة لا بالقامة، يدل عليه التاريخ ويثبت التاريخ من أوله إلى آخره، إن القيمة دائماً تغلبت على القامة، وهزمت القامة / لو لا هذا لما كان لهذا العالم المتمدن المعمور بقله، ولا كيان أبداً، لو لا أن القيمة إنما غلبت واستطاعت أن تتغلب واستطاعت أن تهزم القامة، مهما كانت كبيرة وشاخخة، لما بقيت هناك عقيدة صحيحة ولا دين صحيح، ولا دعوة صحيحة، ولا كرامة بشرية.

فإخواني! ينبغي أن نتأمل، وأن نؤمل وأن نفكر في هذه الآية، في هذه المقارنة، لإلقاء التبعة، تبعة الدعوة، وتبعية الإنسانية، والمسئولية الإنسانية على هذا العدد

القليل ، وعلى هذه الحفنة البشرية .  
ولقد أثبت التاريخ أن هذه الحفنة البشرية لما قامت ،  
واضطلعت بمسئوليتها ، وقبلت مسئوليتها ، وقامت  
بمسئوليتها ، غلبت على هذا البحر الخضم الممتد على  
صعيد الأرض كلها ، تغلبت عليه ، وهزمت هذا العدد  
والعدد والعتاد ، وهذه الملكات الشاخصة ، وهذه الطاقات  
الباذخة كلها ، تغلبت هذه الفئة القليلة ، هذه القلة على  
هذه الكثرة ، في هذه الآية في الحقيقة تبصير لنا ، وإثارة  
لعواطفنا ، وإثارة لإيماننا ، وإثارة لعزيمتنا ، وإثارة لنخوتنا ،  
وإثارة لإبائنا وعزتنا أن نقوم أمام هذه الكثرة الشاخصة ، هذه  
الكثرة الفاشية التي نراها اليوم ، ونقوم أمامها بقيمتنا لا  
بقامتنا ، بدعوتنا لا بما عهدنا من إمكانيات ، ومن فرص ،  
ومن عتاد ، نقوم بالدعوة ، بإخلاص ، بقوة الإخلاص ،  
وبقوة الإيمان ، نقوم بالميزة الخلقية ، نقوم بالإخلاص التام ،  
لا نكون خاضعين للعدد ، والعدد ، نكون خاضعين لله  
تبارك وتعالى وإرادته ولنصرته ، فالله سبحانه وتعالى قد  
وعد بالنصر ، و وعد المسلمين ، و وعد القائمين بالحق ،  
وبالدعوة الصحيحة ، بالنصر المبين ، والتاريخ يشهد  
بذلك ، من أوله إلى آخره ، بأن فئات قليلة العدد تغلبت

على فئات كثيرة ، ولا أقول فئات ، بل تغلبت على بحار من العدد ، والعدد ، بقوة الإيمان وبالإخلاص في الدعوة ، وبالرثاء للإنسانية وبالتضحية والزهد ، هذه هي الأسلحة التي تستطيع بها ، هذه الأمة أن تتغلب بها على العالم المادي الخاضع للشهوات ، الخاضع للمصالح السياسية ، الخاضع للنفسانية ، الخاضع للازدهار والاستعمار ، وقد وقع ذلك مراراً في التاريخ الإنساني ، ومراراً في التاريخ الإسلامي كذلك ، إن المسلمين ، وإن قل عددهم تغلبوا على فئات كثيرة العدد ، وعلى طاقات كبيرة .

والآن أقول لكم بصراحة : إن هنالك فراغاً ، هنالك فراغ ليس مثله فراغ ، فراغ ضد الإنسانية ، فراغ ضد رحمة الله تبارك وتعالى وبالإنسانية ، ضد ما أَرَادَهُ اللهُ تبارك وتعالى ، وما جاء به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهو فراغ الدعوة ، فراغ الدعوة العالمية ، فراغ الاعتماد على الله تبارك وتعالى ، والاعتماد على القوة الإيمانية ، وعلى الله تبارك وتعالى من النصر المبين ، وقد شوهد وجُرب مراراً وتكراراً في التاريخ الإنساني أن تغلبت الفئة القليلة الضعيفة على فئة كثيرة قوية : ﴿ كم

من فئة قليلة غلبت فئة كثيرةً بإذن الله ﴿ (١) .  
فإخواني ! أنا انتهز هذه الفرصة التي تسنح قليلاً ،  
لمثلئ فيما عندي من أشغال ، وما عندي من أسفار ، وما  
عندي من تبعات ، ومستوليات ، أنا انتهز هذه الفرصة ،  
وأقول لكم يا إخواني ! يا إخواني المسلمين ! يا إخواني  
العرب ! أنتم تجعلون قوله تبارك وتعالى : ﴿ إلا تفعلوه  
تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ نصب أعينكم ،  
وتؤمنوا بهذا ، لو لم تقوموا لله تبارك وتعالى ، ولو لم  
تقوموا بالدعوة الإسلامية الصحيحة الصادقة المخلصة  
الراحة بالإنسانية الرافعة بالإنسانية ، فالعالم على خطر ،  
أقول لكم العالم على ما عنده من عتاد وما عنده من  
أسلحة مادية ومعنوية وثقافية ونشرية ، العالم في خطر ، إذا  
لم تكن هناك دعوة إلى الإيمان ، إذا لم يكن هنالك اتجاه  
عالمي بالأصح ، اتجاه الطاقات الكبرى والبلاد المتمدنة  
الراقية إلى دراسة الإسلام ، ثم إذا وفق الله تبارك وتعالى  
إلى قبوله وإلى اعتناقه ، فأقول لكم : هذا الفراغ يجب أن  
يملأ .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٩ .



و العرب - ساعوني - هم أحق بذلك ، لأنهم هم الذين أكرمهم الله تبارك وتعالى بتوجيه الدعوة إليهم ، وهم الذين قاموا ونهضوا في العالم ، وهم الذين أنقذوا العالم من الانهيار ، أنقذوا العالم من الدمار والخراب ، أنقذوا العالم من الهلاك والإبادة ، فيجب على إخواننا العرب ، وهم السادة وهم الأساتذة ، وهم الرعيل الأول ، وهم الطليعة في ميدان الدعوة ، في مجال الدعوة في مجال الرثاء للإنسانية ، يجب عليهم أن يقوموا قبل أن يقوم غيرهم ، ويقوموا بالدعوة في أمريكا ، وفي أوروبا وفي اليابان وفي الصين ، وفي مناطق أخرى ، بالدعوة إلى الإسلام ، وتوضيح الإسلام أمام الساكنين خصوصاً المثقفين هناك ، يُشرح الإسلام ، ويعرض الإسلام في قالب علمي مقنع ، ومراعاة للنفسية البشرية ، ومراعاة للأوضاع هناك ، يجب على إخواننا المسلمين جميعاً | أقول لكم : هذا واجب المسلمين جميعاً من غير تمييز ومن غير استثناء ، ولكن لكم أوجب ، إذا كان واجباً على المسلمين فإنه أوجب على إخواننا العرب أن يقوموا بهذه الدعوة ، لأن العالم إنما خرج من المأزق ، خرج من الهاوية التي كان فيها ، عن طريق العرب الأولين ، عن طريق الدعاة العرب ، من

طريق الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين لهم بإحسان أو تلاميذهم ، والذين اقتبسوا منهم النور ، واقتبسوا منهم العلم الصحيح والرحمة بالإنسانية ، والرثاء للإنسانية ، وكذلك الشجاعة الأدبية والشجاعة البيانية ، والآن ، هذا وقت أكيد ، و وقت ربما لا تسنح فرص بعد ذلك ، فرص كثيرة .

يجب علينا أن نقوم بالدعوة الإسلامية الصحيحة المقتبسة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية والسيرة النبوية ، وشمائل الصحابة وسيرة الصحابة - رضي الله عنهم - وغملاً هذا الفراغ ، إنه فراغ ليس هنالك فراغ أغور من هذا الفراغ ، وأخطر من هذا الفراغ ، فيجب أن يملأ هذا الفراغ ، وهذا في صالح الإنسانية ، ليس في صالح المسلمين فقط ، حتى يمتد سلطانهم ، ويمتد نفوذهم أو يستطيعون أن يكتسبوا الفوائد ، ويحرزوا الفوائد الاقتصادية والسياسية ، لا ، هذا في مصلحة الإنسانية أن توجه إليها الدعوة الإسلامية ، وإلا فأنا أخاف على الإنسانية كلها ، على البشرية كلها ، وحتى على أجزاء العالم الراقية المتمدنة القائدة الرائدة للعالم ، فإذا لم تكن

هنالك دعوة فإنه لا يؤمن على البشرية التائهة الضالة  
الظالمة ، لا يؤمن لها بالبقه لمدة أطول .

فهذا في صالح الإنسانية و في صالح المسلمين ، و في  
صالح العرب أولاً ، وللعرب حق أكبر ، وحق رئيسي في  
توجيه هذه الدعوة ، و في الاضطلاع بهذه الدعوة ، بصدق  
وإخلاص وشجاعة وجرأة وصراحة ، أقول لكم هذا ، ولا  
أريد أن أطيل عليكم ، فأتلوا الآية الكريمة مرة ثانية  
لتأملوا فيها : إن الله سبحانه وتعالى يقول : أعوذ بالله  
من الشيطان الرجيم : ﴿ والذين كفروا بعضهم أوليه  
بعض \* إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض \* وفساد كبير ﴾  
إلا تفعلوه ، أيها المسلمون ! أيتها الحفنة البشرية الضئيلة  
العدد ، إذا لم تقوموا بالاضطلاع بهذه الدعوة الإنسانية  
الكريمة الواسعة المتقنة للبشرية ، إن لم تفعلوه تكن فتنة في  
الأرض وفساد كبير ، هذا ما نشاهده بعيوننا بأم عيوننا ،  
نشاهد كيف منه البلاد التي يضرب بها المثل في المدينة  
و في الحضارة و في الثقافة ، والبلاد التي توجه العالم العام  
توجيهاً فكرياً وثقافياً ومدنياً وحضارياً وسياسياً ، هذه كلها

في خطر ، إذا فهم قادتها ، ومنهم من يفهم هذا ، إذا فهم قادتها ، فإنهم خافوا على هذه البلاد نفسها ، وخافوا على أنفسهم ، وبدأوا يطالعون الدين الأخير، الخاتم الصحيح ، الدين المنقذ للبشرية ، وكان هنالك دور آخر للتاريخ ، وليس ذلك على الله بعزیز ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا ويوفق إخواننا ويوفق العالم المتمدن كذلك للتعرف بهذا الخطر الداهم ، الخطر القاصم ، الخطر المبيد ، ليس لبلاد فقط بل للإنسانية كذلك .

أحمد الله تبارك وتعالى على سنوح هذه الفرصة للحديث معكم ، وهذا شرف عظيم لي ، فأحمد الله تبارك وتعالى ، وأشكركم وأشكر القائمين بهذه المناسبة .  
جزاهم الله خيراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

☆☆☆☆